الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف –المسيلة

قسم اللغة العربية وآدابها

دروس وتطبيقات في مقياس:علم الدلالة

المستوى: السنة الثالثة./علوم اللسان

أعدها وجمعها: د.دقي جلول.

djelloul.dekki@univ-msila.dz

السنة الجامعية: أفريل /ماي 2020م

الدلالة والمعارف الإنسانية

لهذه المحاضرة علاقتها الوطيدة بسابقتها كونها وصالا لها، وإن أشرنا للمصطلح رأينا علاقته بعلوم خارجية عن علم الدلالة، فإن في هذه المحاضرة سيكون مرتكزنا على العلائق الداخلية في متن اللغة، وسنرى التحوّل الذي عرفه المصطلح، وهو ما صدّر به منقور عبد الجليل رؤيته في عنوان ماهية الدلالة بين الوصفية والمعيارية.

هذا الاندفاع نحو بناء وعي دلالي يساهم في تشكيله علماء محدثون تعددت رؤاهم وتكاملت جهودهم التي عكفوا من خلالها على إبراز اللغة بمفهومها العام نظاما لتحقيق التواصل والإبلاغ فبحثوا جزئياتها وغاصوا في عوالمها مستعينين في سبيل ذلك بعلوم أخرى[1] إذن فالمعيارية تصبو إلى ينبغيات الشيء من خلال التراكمات المعرفية للذات الإنسانية والإضافات التي يضيفها البحث على العلم لوصوله لمرحلة النضج من خلال الزيادات في متنه، وقد عمد "فايز الداية" في مؤلفه "علم الدلالة العربي" للوقوف على المعطى المعياري وعلاقته بالدلالة وإن جاء ذلك من وجهة نظر علماء العربة « يحاول بعض المحدثين اللغويين العرب تجاوز قيود المعيارية في بحوثهم متطلعين إلى تطبيقات وآفاق نظرية تعتمد على الدرس الوصفي المجرّد ثم تنقلب إلى صياغة حيّة معاصرة»[2]

تعتبر محاضرات "دي سوسير" التي جمعها تلميذاه*حلقة مبدئية مهمة بمعية انطلاقة"ميشال بريال"معلنا بتوجه يهتم بدراسة Semantique فجاء تركيزه على القوانين التي تنتظم فيها العبارات بعدما كان التوجه والتركيز على الجانب الشكلي للكلمات، وهذه القوانين تحيلنا للوقوف على رحلة الألفاظ، فهذه الرؤية ما كان لها أن ترى النور والعناية الكافية إلا بعد محاولة "أوجدن وريتشاردز" في مؤلَّفهما "في معنى المعنى" ومن ثمَّ كان الاهتمام بالجانب المفهومي من منطلق وجود علاقة مباشرة بين "الدال والمدلول"

ليفتح المجال أمام النزوع للجانب الحسي في قراءة المعنى وعقلنته فكان السلوك داع قوي تجسّد على يد "بلومفيلد" فاسحا المجال للجانب الوصفي في اللغة متمثلا في الحقول الدلالية ومنزعهم في ذلك مختلف الحقول سواء المعجمية وغير المعجمية... والذي تمثل لدى الألمان.

يعالق علم الدلالة القراءات المتعدية للخطاب الأدبي باعتبار أن هذا الأخير باتت له استعمالات عديدة، تعطي مجالات مختلفة من المعرفة الإنسانية وهذه الأنشطة هي نقاط تماس ما بين مجموعة من العلوم تتمثلها في علم اللغة الفلسفي وعلم اللغة الإحصائي فيكون تحليل

---

[1] ينظر محاضرات في علم الدلالة–نصوص وتطبيقات–، خليفة بوجادي، ص42.

[2] علم الدلالة العربي "النظرية والتطبيق"، فايز الداية، دار الفكر دمشق سوريا، بيروت لبنان، ط02، 1996م، ص 97.

* وباعتبار أن المعارف تراكمات فقد ذهب بعض اللسانيين العرب الجزائريين المعاصرين وهو "مختار زواوي" من جامعة سيدي بلعباس: إلى قراءة تراث "دوسوسير قراءة نقدية من خلال مخطوطاته التي وضعتها عائلته في جامعة"جنيف هارفارد" وما حققه"سيمون بوكي" و"رودلف آنغلر" سنة 2002، فألف كتاب بعنوان:دو سوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، يطرح فيه الكثير من الأفكار حول مؤلف محاضرات في اللسانيات العامة" لتلميذي سوسير، ودواعي تأليفه، ويدحض الكثير من المغالطات حول فكر دو سوسير من خلال مخطوطاته الأصل....، للمزيد ينظر: دو سوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، مختار زواوي، .....

الخطاب قد اهتم بجوانب عديدة من المعنى[3]، ونلفي هذا الطرح على مستوى البنية لدى:"غريماس" من منطلق أن عالم المعنى يتمظهر في التلفظ Articulation ويتموقع في البنى التعبيرية مما يعني وجود مستويين ظاهر وخفي، وهو ما اتكأ عليه "تشومسكي" تحت ما يعرف بالنحو الكلي Universal Grammar من منطلق السؤال الكلي كيف تنتظم اللغة كجملة من البنى في شكل أنساق نظرية داخل الدماغ؟ وهو ما تجسَّد في النحو التوليدي الذي يقوم على أساس تحليل السلسلة الكلامية إلى وحدات من الرموز الدلالية للتركيب.

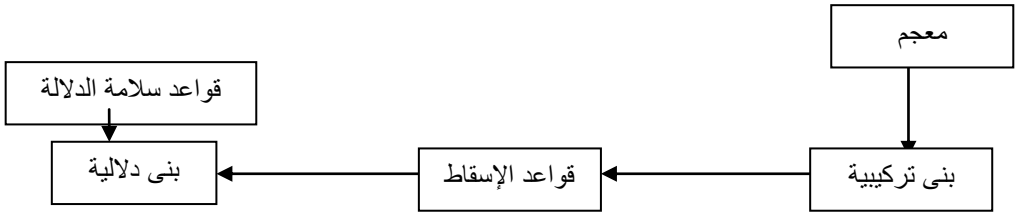

لتتنوع الدلالة بعدها مشتملة على ما هو لغوي وغير لغوي، متخذة طابع الشمولية في التناول والطرح.

النظريات الدلالية:

قبل التعرف على أبرز النظريات الدلالية ، لا بد لنا من الإشارة إلى أن كل ما قدم في هذا الشأن تم في إطار العلاقة الرمزية أو الاعتباطية بين اللفظ ومعناه في اللغة , ولذا أثرنا أن نبدأ من آخر نقطة أنتيهينا منها فيها من المحاضرة الماضية ، وهي العلاقة العرفية أو الاعتباطية بين اللفظ ومعناه بعد أن فهمنا العلاقتين السابقتين (الطبيعية"الجبرية" و العلاقة المنطقية)

العلاقة العرفية (الرمزية،الاعتباطية) : Arbitrary

وهي العلاقة العرفية ، أو الاعتباطية ، أو الرمزية ، أو الاصطلاحية التي تربط اللفظ بمعناه ، باعتبار الرمز (الكلمة) ما هو إلا رمز لما تدُلُّ عليه من معنى . بمعنى آخر أنها العلاقة التي لا نجد فيها ارتباط مباشر بين اللفظ ومعناه ، وما يدل على عرفية العلاقة بين اللفظ ومعناه ، هو اختلاف اللغات في طرق التعبير عن الأشياء – مع إتحاد الأشياء – المادية التي تُطلق عليها الأسماء–في حياة المجتمعات البشرية . فالكلب هو الكلب في أي مجتمع بشري ولكن يختلف اسمه من مجموعة لغوية إلى أخرى .ونستطيع القول بأن الشيء المسمى في الواقع وهو المتصف بأنه حيوان يشارك الإنسان في مسكنه ، ويتخذه الإنسان وسيلة للحراسة والصيد والمؤانسة ، وهو ينبح ، أي الحيوان الذي ينبح يُطلق عليه أسماً مختلفاً من بيئة إلى بيئة لغوية أخرى فهو كلب kalab (العربية) ، دوكdog (الإنجليزي) ،هُند hund (الأفغانية)، باس pas(البوسنية) ، ساج sach(الفارسية) ، كkare (الهوساوية) ، آنجِنغ ?ang(الملاوية) ، إلباروو ?baroo(الاسبانية) ، مبوا mbawa(السواحيلية) . فإن كانت العلاقة بين اللفظ ومعناه موجودة أصلاً لما اختلف اسم هذا الحيوان من لغة إلى أخرى؟ . والإجابة على ذلك هي أن العلاقة بين الاسم والمسمى علاقة عرفية اعتباطية . والسبب في ذلك هو أنَّ الناس تعارفوا على يكوِّنوا كلمات بطريقة محددة من أصوات بعينها، ويستخدمونها للإشارة إلى الأشياء الموجودة في البيئة من حولهم . ولولا عرفية العلاقة بين اللفظ ومعناه لاتحدت طرق التعبير عند جميع البشر .

1/نظرية معنى المعنى : Meaning of meaning](نظرية مثلث المعنى) ونستطيع القول أن من أبراز الأفكار المعبِّرة عن علاقة اللفظ بالمعنى هي فكرة العالمان (شارلس ك . ريتشاردChares K .Richard ، وأفور أ. أوجدن Ivor A.Ogden) ، التي أورداها في كتابهما (معنى المعنى) The meaning of meaning . ففي هذا الكتاب حاولا تقديم نظرية لتفسير المعنى على أساس رياضي آلي ، إذ أنَّ المعنى عندهم يرجع إلى أربعة عناصر هي (القصد ، والقيمة ، والمدلول عليه ، والانفعال أو العاطفة(1) ، اعتمادا على القاعدة التي أطلقوا عليها مثلث المعنى semantic triangle مسقطين العنصر الرابع وهو الانفعال و العاطفة (2) ، وتَمثَّلَ رأيهم في أنه هناك ثلاث جوانب رئيسة تنتظم إي علاقة رمزية وهي :

1/ العنصر الأول : (القصد) وهو الرمز ، أي الكلمة المنطوقة المكوَّنة من مجموعة أصوات نُظِّمتْ ورُتِّبتْ بطريقة معينة مثل كلمة (كلب) بأصواتها المنطوقة

[3] ينظر محاضرات في علم الدلالة، خليفة بوجادي، ص 105.

2/ العنصر الثاني : (القيمة) ، وهي المحتوى العقلي الذي يُستحضَرُ في ذهنِ السامع مقابل الرمز اللغوي ، أي الفكرة والشعور الذي يستدعيه الرمز في ذهن السامع عند سماعه ، صورة الكلب مثلاً.

3/ (المدلول عليه) ، وهو الشيء نفسه المشار إليه كما هو في العالم الخارجي (المسمى) أي الشيء الموجود في واقعنا وحياتنا. الكلب ذاك الحيوان الذي ينبح ... الخ

إذن عناصر الرمزية بين الكلمة ودلالاتها هي (المورفيم ، وما يستدعيه من مفهوم ، أو معنى ، أو دلالة مختزنة في أذهان الجماعة اللغوية الواحدة . والشيء المشار إليه كما هو في الطبيعة .وقد عبَّرا عن ذلك بما يُعرف بمثلث المعنى Semantic Triangle حسب الشكل التالي (أنظر الشكل المرفق)

فهنا الفكرة أو المحتوى (المشار إليه "أ" يرتبط بالشيء(المشار إليه "ج" بعلاقة عقلية منطقية واقعية حقيقة مثبتة ، وترتبط الفكرة من جهة أخرى باللفظ (المشار إليه " ب") المعبِّر عنه حسب اللغة ، بينما ليست هناك علاقة مباشرة بين الرمز("ب" الكلمة) والشيء "ج" الذي تدل عليه في الواقع ، لأن العلاقة بين (ب) و(ج) علاقة عرفية اعتباطية. وعليه يمكن استخدام أي رمز لهذا الشيء إذا ما تعارف مستخدمي اللغة عليه . فإذن يتكون مثلث المعنى من الأضلع (أ ب) الذي يمثل ارتباط المحتوى الذهني بالشيء كما هو في الواقع . ومن ثم يرتبط هذا المحتوى الذهني (أ) ممثلاً الضلع الثاني من المثلث بالاسم الذي يطلق على الشيء في لغة ما . إن الضلع أ ب ، والضلع أ ج , بينما يغيب الضلع الثالث من المثلث وهو الذي يربط ب بـ ج) وذلك ما نؤكده من إنعدام العلاقة بين اللفظ ومعناه .

2/النظرية الفيزيائية

ومن ثم جاء بعدهما عدد ممن كتبوا عن العلاقة الرمزية بين اللفظ والمعنى مثل (بردجمان P.W. Bridgman) . وتناول في محاضراته مسألة الوضوح الدلالي التي سماها (منطق الفيزياء الحديثة) ، وأراد بها إخضاع علاقة المفردات بمعانيها لمنطق الفيزياء.

مثلاً : أن الملوحة هي علامة الكالسيوم ، وعليه فإن إي مركب اشتمل على الملوحة هذا الارتباط بمثابة التأكيد على اشتمال المركب على عنصر الكالسيوم ، وهكذا مع سائر العناصر والمركبات . إذ أن لكل عنصر منها سماته المميزة له والتي يُعرف بها ، والتي لا تتغير .

هذا المبدأقد ينجح مع المفردات العلمية ، ولم ينجح في بقية مفردات اللغة . أي أنه يصلح للاصطلاحات العلمية فقط . كما نشير إلى أن المبدأ حتى مع المصطلحات العلمية نجد أن المفردة يتغير معناها من علم إلى آخر حسب استخدامها استخداماً اصطلاحياً من علم إلى آخر ، فالنأخذ مثلاً كلمة (خلية) فهي في علم النبات تعنى (مبيض) ، وفي القانون تعنى (مكان حبس) ، وفي المسيحية تعنى (غرفة تبتل وانقطاع عن الحياة الاجتماعية) ، وفي الكهرباء تعنى (شاحذة أي بطارية) وفي العلوم السياسية والقانونية تعنى (تنظيم سري) ... الخ وهكذا وجدنا أن (خلية) مع أنها مصطلح علمي إلا أن معناها اختلف من علم إلى آخر .

3/ النظرية الاجتماعية :

ومن الاجتماعيين (الفرد كورتسبسكي) ، الذي يرى في الدراسات الدلالية الدواء لكل أمراض الإنسانية ، لأن أغلب المشكلات الاجتماعية ، تنشأ من غموض المصطلحات التي يصعب تصنيفها ووضعها في إحدى خانتي الحق ، أو الباطل ، بل تقع في المجال النسبي حيث ينعدم الاتفاق ، وتصبح الرموز أو الكلمات تجريدات تدير حياتنا من خلال الذين يسيئون استخدامها (2). وقد تبعه في ذلك (السير استوارد تشيز) الذي يرى أن حل مشكلاتنا الاجتماعية يتوقف على وصولنا إلى التعريفات الواضحة للكلمات ، وتنحية الكلمات التي لا معنى لها (1) فهذه النظرية تسير في تيار عكس ما تسير فيه اللغة . فهم يرون أن غياب العلاقة بين اللفظ والمعنى هو الأمر الذي يجعل الكلمة غير واضحة المعنى في أي لغة إذ أنها لا تدل قطعاً على معنى واحد محدد بعينه لا يلتبس بأي معنى آخر . وهذا أمر طبيعي في وفطري في السلوك اللغوي ، ويؤكد من جهة اخرى ديناميكية اللغة . وإن أصدرنا قوانين للحد من تطور اللغة ، وانتقال الدلالات ، وإبقاء اللفظ للتعبير عن معنى واحد نكون قد أقعدنا اللغة ومنعنا عنها تطورها ونموها ، وأضعفنا قدراتها التعبيرية ، ومهدنا إلى موتها وانسحابها عن علامنا مع حاجتنا المساة لها.

فكل الآراء السابقة لم تتناول موضوع الدلالة من زاويته اللغوية ، بقدر ما تناولها أصاحبها من وجه نظر ومقررات علوم أخرى ليست لغوية . وعليه كان لا بد لنا من الوقوف على الموضوع من وجهة نظره اللغوية البحتة . لأن الظواهر اللغوية ينبغي أن تُدرس من قِبل اللغويين أنفسهم ، وبعد ذلك يأتي غيرهم لدراسة تداعياتها على العلوم والمجلات الأخرى .

4/ النظرية التصورية أو (الذهنية):

أما من اللغويين فأول من أدلي برأي ثاقب في هذه المسألة ، هو(فيردناند دي سوسير) (2) . الذي فرَّق بين (القيمة اللغوية للكلمة) و ما يسميه (المقصود) . ويرى أنه لكي ندرس القيمة اللغوية علينا أن ندرس عنصرين هما (الفكرة) التي تدعو صورة سمعية أو أصوات معينة ، وندرس الصورة السمعية التي تدعو الفكرة (3). فهنا يعبِّر عن علاقة اللفظ بالمعنى باعتبارها علاقة ارتباطيه ذهنية ، بمعنى أنه حينما نسمع الكلمة (الصوت ، أو نقرأها) يُستدعي عندها في أذهاننا الصورة التي تعبِر عنها . والعكس صحيح أنه حينما تظهر صورة لشيء في ذهننا ، فإنها تستدعي اللفظ الذي يشير إليها . وذلك لأنه يقول عن اللغة أنها عبارة عن مخزون ذهني للمفردات ، ودلالتها ، والقواعد" النحوية ،والصرفية ، والأسلوبية .. الخ" . فكل مفردة (كلمة) مختزنة في ذهن الفرد من الجماعة اللغوية الواحدة ، تقابلها في الجانب الآخر من الذهن صورة تعبِّر عنها وترتبط بها. إذن يصدق هذا الأمر في الكلمات الدالة على معانٍ حسية ، أما المفردات الدالة على معانٍ تجريدية ، فإن الصور التي تعبُّر عنها الكلمة ، والتي هي مختزنة في الذهن متفاوتة ، ومتنوعة ومختلفة ، بتنوع واختلاف خبرات الأفراد في الجماعة اللغوية الواحدة . فمثلاً تصوراتِنا لمعاني مفردات مثل (الحرية ، الرُعب، الديمقراطية.. الخ) تختلف من شخص لآخر ، حسب خبرات وتجارب كل منّا . (لمزيد من المعلومات حول مفهود دي سوسير للغة أنظر ، كتابي " مدخل إلى اللغويات " إصدار مكتبة الرشد 2009

5–النظرية السلوكية

: تُعنى النظرية السلوكية التي تنسب إلى اللساني الأمريكي Bloomfield ببواعث إنتاج اللغة التي تردها إلى السلوك جريا وراء قانون العلوم المادِّية الذي يرى أنَّ جميع الأفعال هي استجابات لمنبهات ما ؛ ولذالك فإنَّ النظرية ترى أنَّ اللغة هي كذلك مشمولة بهذا القانون ، ولا ينتج الإنسان اللغة إلا تحت تأثير منبه ما إذا لم يكن خارجيا فهو داخلي مغفلة بذلك كلَّ حديث عن الذهن أو العقل ، أو الفعل الإراديِّ ، ومن أسسها كذلك أنها ترى في اللغة سلوكا يتعلم عمليًّا لا نظرياً ، أي أنها تكتسب من خلال النماذج السلوكية، وليس التواصل اللغوي عند السلوكيين إلا استجابات لمؤثرات ما ، وفي العموم فإنَّ بلوم فيلد وفي محاولة منه لتجاوز الفهم الذهني للغة والنظر إلى الدلالة من خلال السلوك اللغوي القابل للملاحظة << عرَّف معنى الصيغة اللغوية بأنه الموقف الذي ينطقها المتكلم فيه ، الاستجابة التي تستدعيها من السامع ؛ فعن طريق نطق صيغة لغوية يحث المتكلم سامعه على الاستجابة لموقفٍ ، هذا الموقف وتلك الاستجابة هما المعنى اللغوي للصيغة>> (فهمي زيدان ، في فلسفة اللغة ص61) .

ولكن النقد الذي وجه إلى هذه النظرية هو أنَّ اللغة لا يمكن أن تكون كلها نفعية بالشكل الذي مثل به أصحاب النظرية من خلال تجربة جيل الجائعة وإمدادها بالتفاحة ؛ إذْ إنَّ كثيرا من مظاهر اللغة غير نفعيٍ ، ولا تواصليٍ أصلا كحديث الإنسان إلى نفسه أو تغنيه وإنشاده أو ما يمكن أن يدخل تحت الوظائف غير الإبلاغية للغة ، وفضلا عن ذلك فإنَّ اللغة إنَّما تفهم في السياق الذي ترد فيه ما يعني أنَّ نقل الملفوظ من سياق إلى آخر كثيرا ما يعرضه لفقدان دلالته أو تغيرها .

6– الدلالة السياقية:

لتحديد المقصود بهذا النوع من الدلالة لا بدّ أولا من توضيح معنى السياق؛ وهو الغرض الذي سبق لأجله الكلام ،، ويطلق أيضا على الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها ، ويطلق البلاغيون على هذا النوع الحال أو المقام، كما يطلق أيضا على المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية ، أي ما يسبقها من الكلام وما يلحقها، وهذا الأخير يسمى السياق اللغوي، والأول سياق الموقف.

وقد صرّح فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة ، وقد ذكر ذلك أيضا الشافعي –كما رأينا في المحاضرة الثانية– فدراسة المعنى تتطلب تحليلا للسياقات اللغوية وغير اللغوية التي ترد فيها الكلمات «فالدلالة السياقية تشير إلى ذلك الترابط العضوي بين عناصر الجملة، وهو ما يشكل بنية اللغة، بل إنّ مفهوم الدلالة السياقية يتّسع ليشمل مجموع الجمل التي تكوّن النص» .

فلا يكفي النظر إلى الدلالة المعجمية لتحدد المعنى لأن الكلمة في تعالقها مع باقي الوحدات اللغوية داخل التركيب تكتسب دلالة إضافية لا يمكن تحديدها إلا بإدراك العلاقة بينها وبين الوحدات المجاورة لها.

يقول ستيفن أولمان: «إنّ السياق ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، بل والقطعة كلها والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه كلّ ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات» ، فهو يشير إلى دلالة المقام، بالإضافة إلى السياق اللغوي.

دلالة المقام: إن التحليل الدلالي للسياق اللغوي يعطينا معنى المقال أو المعنى الوظيفي، أو المعنى الوظيفي، أو المعنى الظاهر أو الحرفي، وهذا لا يكفي لتحديد الدلالة، فلا بدّ من معرفة الأحداث والظروف الاجتماعية التي صاحبت أداء المقال، يقول تمام حسان: «حين نفرغ من تحليل الوظائف على مستوى الصوتيات والصرف والنحو, ومن تحليل العلاقات العرفية بين المفردات ومعانيها على مستوى المعجم, لا نستطيع أن ندَّعي أننا وصلنا إلى فهم المعنى الدلالي؛ لأنَّ الوصول إلى هذا المعنى يتطلّب فوق كل ما تقدَّم ملاحظة العنصر الاجتماعي الذي هو المقام» . التطبيقات

تطبيقات عامة

تطبيق حول نظرية السياق : مالفرق بين السياق عند العرب والسياق عند الغرب؟

السياق عند العرب والغرب /أ. عند العرب:

كان القرآن الكريم من أهم عوامل نشأة الدراسات اللغوية عند العرب، و الأمر نفسه بالنسبة لنظرية السياق، فكما سبق لنا ذكره في مباحث سابقة، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يضطر لشرح بعض الألفاظ المستعصية على الصحابة الكرام، ثم واصل الصحابة ذلك فيما بعد، إذ نجد "عبد الله بن عباس" رضي الله عنهما قد فسر بعض الآيات القرآنية الكريم اعتمادا على كلام العرب، فكانت هذه المحاولة النواة الأولى لنظرية السياق عند العرب.

كما نجد أن المفسرين قد أعطوا للسياق أهمية قصوى في تفسيراتهم، و ذلك بعنايتهم بأسباب نزول الآيات، بالإضافة إلى عنايتهم بالسياق اللغوي الذي يوجد فيه النص، فقد اعتمد العرب في فهمهم القرآن الكريم على السياق.

و كذا نجد علما العرب القدامى يختلف تخصصاتهم و طوائفهم و مذاهبهم قد ركزوا على السياق في مختلف دراساتهم و هذا ما نجده عند اللغويين، والنحويين، والأصوليين و الفقهاء.....إلخ.

إن هذا الاهتمام الكبير بالسياق من قبل العلماء العرب القدامى لدليل على أصالة هذا العلم عند العرب، إذ اهتدوا إليه منذ أمد بعيد، و هذا ماذكره" الجاحظ" بقوله: « و أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء».[4] كما نجد ملامح هذه النظرية في نظرية " النظم" التي قدمها عبد القاهر الجرجاني، إذ لها نفس المعنى السياق المتمثل في الجمع، و الربط، و التأليف. و هناك عديد الأدلة التي تؤكد أصالة هذا العلم عند العرب سبق لنا ذكرها في المباحث السابقة سواء عند المفسرين، أو اللغويين، أو النحويين...إلخ

[4]– الجاحظ، المرجع السابق، ص:67.

ب . عند الغرب: ترجع بوادر هذا العلم عند الغربيين إلى عشرينيات القرن الماضي، و قد مرت نظرية السياق عند الغربيين بعدة مراحل قبل نضجها و وصولها إلينا بشكلها الحالي، فبرغم من إجماع معظم المصادر على أنها من إنجاز " فيرث" إلا أن الحقيقة أن هذه النظرية قد تداول عليها عدد من العلماء قبل " فيرث" و بعده، هذا ما سنحاول التفصيل فيه.

1. السياق عند دي سوسير: يعد " دي سوسير" رائد الدراسات اللغوية الحديثة التي تمخض عنها عدة علوم منها العلامات أو الرموز(semiology)، و علم اللغة فرع منها، و كان" سوسير" يعرف اللغة بأنها:« نظام من الدلائل يعبر عما للإنسان من أفكار»[5].

فاللغة بالنسبة له تمثل ترجمة لما يدور في فكر الإنسان، لذلك توصل إلى فكرة الترابطات السياقية و الإيحائية التي عبر عنها بالتقاطع الشهير ذي المحورين الرأسي و الأفقي.

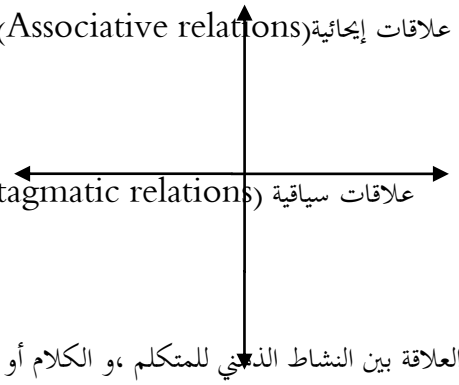

هذا التقاطع يمثل بالنسبة لدي سوسير العلاقة بين النشاط الذهني للمتكلم ،و الكلام أو العلاقة بين الدال و المدلول. فقد اهتم سويسر بسياق النص الذي يعني بالنسبة له ذلك التوالي اللفظي للكلام، و لذلك يقول:« إن مفهوم السياق لا ينطبق على كلمات فرادى فحسب، و إنما على مجموعات من الكلمات و الوحدات المركبة مهما بلغت من الطول و التنوع كالكلمات و المشتقات و أجزاء الجمل، و الجمل الكاملة»[6]. و الربط بين هذه الكلمات يتم عن طريق الذهن، الذي يساهم في تشكيل السلاسل الترابطية بين هذه العناصر.

و من هذا نلاحظ أن دي سوسير قد كان له اهتمام بالسياق و ذلك من خلال نظريته المعتمدة على الترابط بين عناصر الكلام داخل الذهن من أجل فهمها و ذلك على الرغم من أننا لا نجد إلا إشارة قليلة في هذا المجال ،إلا أنه يعد أول من مهد لهذه النظرية.

2. السياق عند مالينوفسكي: السياق في المباحث السابقة فإن مالينوفسكي قد أدرك أهمية السياق من خلال محاولته شرح بعض المفردات التي تنتمي إلى لغات قديمة إلى الانجليزية، إلا إنه لم يستطع ذلك فأدرك أهمية السياق حتى نتمكن من معرفة دلالتها، فالكلام و الموقف مرتبطان ببعضها حسبه.

3. السياق عند فندرس: كان جورج فندريس G,Vendryes من أبرز علماء اللغة الفرنسيين الذين أولوا السياق أهمية كبرى، و قد عالج هذه الفكرة عندما تحدث عن المشترك في اللغة، و أن السياق يمنع تعدد المعاني أو الوظائف، و قد أشار إلى ذلك بقوله:« أننا حين نقول بأن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد نكون ضحايا الانخداع إلى حدها ،إذ لا يطفوا إلى الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعينه سياق النص»[7] .

4. نظرية السياق عند فيرث: إن الانطلاقة الحقيقية لهذه النظرية كانت مع "فيرث" سنة 1935، الذي استفاد من جهود "مالينوفسكي"، فأسس نظرية كاملة الملامح واضحة المنهج، إذ قدم السياق على أنه إطار منهجي يمكن تطبيقه على الأحداث اللغوية. و لذلك يعد رائد هذه النظرية، إذ كانت لها إسهامات عديدة في هذا المجال، و كان يعتبر أن الكلمات لا تتوفر على معان خارج السياق لذلك نجد معظم التحليلات تنسب هذا العلم إليه، على الرغم من الجهود التي قام بها سابقيه و ما قام به من جاء بعده من علماء مثل

---

[5]- دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تعريب صالح القرماوي، و محمد الشاوش، و محمد عجينة،(دط)، الدار العربية للكتاب طرابلس، تونس: 1988، ص: 37.

[6]-دي سوسير،المرجع السابق، ، ص: 187- 188.

[7]- فندرس، المرجع السابق، ص: 227.

تشومسكي رائد المدرسة التحويلية، و بلومفيلد و من هذا تكون نظرية السياق قد مرت في نشأتها بعدة مراحل انطلاقا من دي سوسير إلى فيرث و من بعده، حتى تتضح و تصبح نظرية كاملة ذات أطر و مناهج واضحة.

تطبيق حول ورود المعنى –الدلالة –عند ابن جني:

ب–تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني: وفي هذا الباب بيّن تقارب الدلالات لتقارب حروف الألفاظ من حيث المخارج، ومثاله شرحه–ابن جني– للفظ "أزا" الوارد ذكره في قوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ ، يقول أبو الفتح:"أي: تزعجهم وتقلقهم, فهذا في معنى تهزّهم هزًّا, والهمزة أخت الهاء, فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين. وكأنهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء, وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ؛ لأنك قد تهز ما لا بال له كالجذع وساق الشجرة, ونحو ذلك" . وقد وضّح ابن جني هذه الجوانب بكثير من الشواهد، وأظهر من خلالها القيمة التعبيرية لأصوات العربية وأبنيتها.

ج–باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني: في هذا الباب أشار إلى العلاقة الطبيعية بين الأصوات ومدلولاتها، وكذا أبنية الكلمات و ما تتحمله من دلالة طبيعية، يقول:"اعلم أن هذا موضع شريف لطيف, وقد نبَّه عليه الخليل وسيبويه, وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته. قال الخليل: كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدًّا فقالوا: صَرَّ, وتوهموا في صوت البازي تقطيعًا فقالوا: صرصر.

وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان: إنها تأتي للاضطراب والحركة, نحو: النقزان والغلبان والغثيان, فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال" .

الدلالة اللغوية (العلاقة بين الدال والمدول):

تمهيد: من خلال ما سبق عرفنا أن علم الدلالة تشكَّلَ عبر مرحلتين أساسيتين الأولى: التناول الدلالي ضمن اهتمامات لغوية أخرى، والأخرى: التفات الباحثين إلى التركيز على قضايا الدلالة ووضع مصطلحSémantique ، غير أن دخول الدلالة في مجالات مختلفة جعلته ألصق بعلم الرموز Sémiologie، لذلك نبَّه دارسون دلاليون على ضرورة تحديد المصطلح وتأطيره بالدلالة اللغوية، وبهذا أضحى علم الدلالة «يعنى بدراسة الدلالات الألسنية، وعلى الأخص الجانب المعنوي من هذه الدلالات، أي المدلول» .

فإذا كان موضوع علم الدلالة الوقوع على قوانين المعنى التي تكشف أسراره وتبين السبيل إليه وكيفية حركته ، فإن علم الدلالة يقوم على أساس تحديد العلاقة بين الدال والمدلول.

الدال والمدلول: إنَّ العلاقة بين الدال والمدلول من أهم القضايا التي تناولها علماء الألسنية، وكانت تقتصر على علاقة اللفظ بالمعنى، وفي مجال علم الدلالة أصبحت تتعلق بالدال والمدلول سواء أكان الدال لفظا أو غير لفظ، فالدال اللغوي هو العلامة اللسانية، أو كما يسميها (أولمان) اللفظ، وهو أحد طرفي الفعل الدلالي، والطرف الآخر هو المدلول أو كما يسميه أولمان الدلالة، وهو الفكرة التي يستند عليها اللفظ . فهناك علاقة طردية بين طرفي الفعل الدلالي كلاهما يستدعي الآخر، فالدال اللغوي لا يمكن أن يحيل إلى الشيء الذي يعنيه في العالم الخارجي مباشرة، وإنّما مرورا بالمدلول أو المحتوى الذهني الذي يرجعنا إلى الشيء الذي تشير إليه العلامة اللسانية.

ويمكن تقديم علاقة العلامة اللسانية بالمدلول، والموجود في الأعيان على النحو التالي :

المدلول (Signifie) المرجع (Référent) الدليل (الرمز) (Signe)

أما المرجع فهو يجمع بين العوالم المادية المحسوسة، والمجردة، ولا يتم استحضاره إلا من خلال المدلول، إلا في حالات قليلة يستحضر فيها المرجع بواسطة الدال مثلا في أسماء الأعلام .

وأمَّا المدلول فهو محور علم الدلالة، من حيث اهتمام هذا الأخير بالجانب المفهومي للدال، ولكن ذلك لا يتم إلا وفق معايير علمية: «فالمدلول يتحدد بواسطة الوحدات المجاورة له، وكلّ تغيّر يصيب وحدة ما من وحدات النظام يمكن أن ينعكس على مجموع أو جزء من

هذا النظام (...) فقيمة وحدة ما هي ذات طبيعة علائقية (Relationnel)، وهذا لا ينفي على كل حال الوجود الإيجابي للمدلول كوحدة معجمية» .

وإن كان المدلول يحمل دلالة أساسية في صورته اللفظية، غير أنه قابل لاكتساب جوانب مفهومية أخرى، تتنوع بتنوع السياق، ومن الطرق التي اعتمدت في العصر الحديث لتصنيف المدلولات الطرق الآتية :

1- الطريقة الشكلية: بنية الكلمة والأصل الواحد، مثل: عَلِمَ، يعلم، تعليم، معلم...

2- الطريقة السياقية: تفيد أن المدلولات تصنف باعتبار المعنى الذي ترد من خلاله في السياقات المختلفة.

3- الطريقة الموضعية: تعني أن المدلول يتحدد من خلال الموضع والموقف الذي يكون فيهما المتكلم.

4- الحقول الدلالية: وهي تكشف عن القرابة المعنوية بين المدلولات.

5- التحليل المؤلفاتي: وهو يفيد أن المدلول يعيّن انطلاقا من مؤلفات الكلمة الأساسية، أو ما يطلق عليه باللكسيم مثل: "لكسيم امرأة" يحوي المؤلفات التالية: أنثى+ بالغ+ بشر.

إنّ هذه الطرق تساهم بشكل كبير في وضع المعاجم، كما تساعد في عملية التحليل الدلالي للنصوص اللغوية.

العلاقة بين الدال والمدلول: العلاقة بين الدال والمدلول أهي عرفية اصطلاحية أم اعتباطية؟

لقد أثارت هذه القضية الكثير من الجدل، منذ تساؤل الإنسان عن نشأة اللغة، ولقد عرض السيوطي في المزهر آراء المتحاورين الذين كان يذهب جمهورهم إلى عرفية الدلالة ، ففي باب القول على اللغة أإلهام هي أم اصطلاح؟ يقول ابن جني: «هذا موضع محوج إلى فضل تأمل غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف» . وقد ذكر رأي أبي علي الفارسي في احتجاجه بقوله تعالى في الآية الواحدة والثلاثين من سورة البقرة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ بأن الله سبحانه أقدر آدم على أن واضع عليها .

ويفصّل الإمام الغزالي في كتابه (المنخول) هذه المسألة بما يقرب من تأويل ابن جني، مما يجعل قضية (الاصطلاحية) قائمة في آفاق الباحثين في اللغة والفكر والاجتماع ، من منطلق أن لكل رمز لغوي شرعية لغوية في مجتمعه اللغوي، ويؤدي وظيفة دلالية، فإنه لا صلة لازمة بين الدال ومدلوله بشكل طبيعي، وهذا هو المقصود بالاعتباطية، أي اختفاء العلة بين الدال والمدلول، ويتضح ذلك فيما قاله الجرجاني في دلائل الإعجاز حيث قال: «مما يجب إحكامه أنَّ "نظْمَ الحروفِ" هو تَواليها في النطق، وليس نظمُها بمقتضى عن معنى، ولا الناظمُ لها بمُقْتَفٍ في ذلك رَسْماً منَ العقلِ اقتضَى أَنْ يَتَحرَّى في نظمِهِ لها ما تَحرَّاه. فلو أَنَّ واضع اللُّغة كان قد قال "ربضَ" مكان "ضرَبَ"، لما كَانَ في ذلك ما يؤدي إلى فَسَاد» .

فمن خلال قوله (واضع اللغة) فالعلاقة بين الدال والمدلول تقوم على أساس العرف اللغوي والاجتماعي، يقول فايز الداية: «النتيجة وهي أننا لا نفهم الألفاظ الأجنبية العديدة للأمم رغم أنها تدل على أشياء نعرفها، فمن لا يعرف الفرنسية أو الإنجليزية أو الإيطالية يسمع L'enfant وBoy وBambins ويكون أمامه أطفال أو هو إن لم يرهم مباشرة يعرفهم ولا يستطيع الربط بين الصوت في كلمة وما يدل عليه، وإنما هو عرفي، لذا اختلفت الكلمات أصواتا وكتابة بين لغات الأمم» ، ففكرة الاعتباطية أثيرت أيضا في الدرس اللساني الحديث، ومفادها عدم وجود علاقة طبيعية إلزامية تقد دالا بمدلول معين، وهذه «الاعتباطية في الاقتران العرضي بين الدال والمدلول تعتبر الخلية الحيوية التي تشرف على عملية التوالد الداخلي في اللغة، ويتم استحداث تراكيب وصيغ لغوية جديدة وابتكار مدلولات لها بحكم مرونة الألفاظ» .

كما أنّ معيار الاعتباطية في العلاقة الدلالية في النظام اللغوي تتحدد على أساسه العملية الإبلاغية والتواصلية، فكلما تحققت العلاقة الاعتباطية بكثافة في لغة الخطاب كلما بلغ النظام التواصلي مداه وانتهى الجهاز الإبلاغي إلى حدّه الأوفى .

التغيير الـــــــدلالي:

توطئة: إن التطور ظاهرة اجتماعية تحدث في البنيات التركيبية الاجتماعية وفي علاقاتها ونظمها بما في ذلك اللغة، والتطور الدلالي كان يطلق على التغير اللغوي، غير أن مدلول التطور يقتضي التصاعد الإيجابي فيما يلحق هذه البنيات من تغيرات في المعنى، لكن التطور في اللغة «في معناه البسيط: التغير الذي يطرأ على اللغة سواء في أصواتها، أو دلالة مفرداتها، أو في الزيادة التي تكتسبها اللغة، أو النقصان الذي يصيبها، وذلك كله نتيجة عوامل مختلفة ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الأمم في كافة مجالاتها» .

ونظرا لطبيعة هذه الظاهرة التي تمس المفردة، فعلى قدر ما ترقى باللفظ وتكتسب معاني جديدة تجعله أكثر اتساعا، وقدرة على التعبير بقدر ما تنزل بمستوى بعض الألفاظ، وتضيق من دلالتها تضييقا يُساهم معه عدم التدول في اضمحلال المفردة، فضَّل علما اللغة والدلالة إطلاق مصطلح التغيير الدلالي بدل التطور الدلالي، فما هو تعريف هذه الظاهرة عند علماء الدلالة المحدثين وما هي أسبابها ومظاهرها؟

التغير الدلالي: يقول عبد السلام المسدي: «إن الحقيقة العلمية التي لا مراء فيها اليوم أنّ كلّ الألسنة البشرية ما دامت تتداول فإنّها تتطور، ومفهوم التطور هنا لا يحمل شحنة معيارية لا إيجابا ولا سلبا، وإنّما هو مأخوذ في معنى أنها تتغير إذ يطرأ على بعض أجزائها تبدل نسبي في الأصوات والتركيب من جهة ثم في الدلالة على وجه الخصوص، ولكن هذا التغير من البطء بحيث يخفى عن الحس الفردي المباشر» .

فالتغير الدلالي ظاهرة طبيعية تلحق بالمفردة اللغوية في سياقها التداولي، حيث تنتقل اللفظة من مجال دلالي معين إلى مجال آخر تكتسب معه سمة هذا المجال، يقول بيير جيرو: «يتغير المعنى لأنّنا نعطي اسما عن عمد لمفهوم ما من أجل غايات إدراكية أو تعبير، إننا نسمي الأشياء، ويتغير المعنى، لأن إحدى المشتركات الثانوية (معنى سياقي، قيمة تعبيرية، قيمة اجتماعية) تنزلق تدريجيا إلى المعنى الأساسي، وتحل محله فيتطور المعنى» .

هذا يعني أن التغير الدلالي يحدث من خلال انزلاق دلالات هامشية نحو الدلالة الأساسية فيختفي أثر الدلالة الأساسية، ويحل محلها دلالات سياقية تختلف باختلاف نوع السياق، فقد تكون اجتماعية، أو ثقافية، أو نفسية أو انفعالية أو عاطفة، ويعود فعل التغير وتنوعه إلى تعدد العوامل واختلافها.

عوامل التغير الدلالي ومظاهره: تتعدد أساليب التغير الدلالي وتتنوع مظاهره، ولا يمكن الفصل بين الاثنين، لأن العلاقة بينهما تشبه على حد تعبير إبراهيم أنيس بين المرض وأعراضه ومظاهره، وقد حصرها في خمس مظاهر: تخصيص الدلالة، تعميم الدلالة، انحطاط الدلالة، ورقي الدلالة، وتغيير مجال الاستعمال (المجاز) . ويمكن تصنيف هذه العوامل إلى ثلاثة عوامل رئيسية:

1- العامل الاجتماعي والثقافي: قد تتسع الدلالة وقد تضيق بحسب الاستعمال، فاللغة «وجدت ليتداولها الناس، وليتبادلوا بها في حياتهم الاجتماعية كما يتبادلون بالعملة والسلع، غير أن التبادل بها يكون عن طريق الأذهان والنفوس تلك التي تتباين بين أفراد الجيل الواحد والبيئة الواحدة» ، فألفاظ اللغة لا تبقى على حال واحدة، بل تتغير دلالتها بتغير نمط التعبير، والحاجة إلى الاستعمال وطبيعة العصر، والأمثلة في اللغة العربية كثيرة خاصة بعد مجيء الإسلام، فمنها ما عُمِّمَ معناها، أو خُصِّصَ، أو نقل إلى معنى آخر، ومن ذلك ألفاظ العبادات: كالصلاة، والزكاة، والحج... فقد خصص مدلول كل لفظة منها بعد أن كان عاما، ثم قد يعمّم مدلول اللفظة بعد أن كان خاصا، ككلمة "البأس"، فهي في أصل معناها تدلّ على الحرب، ثم اتّسع مدلولها ليشمل كلّ شدّة .

ومن العوامل الاجتماعية التي تؤدي إلى التغير الدلالي، الانتقال الحضاري، فكلمة القطار —على سبيل المثال- كانت في السابق عبارة عن مجموعة من الإبل في السفر، أمَّا في العصر الحديث أصبحت تطلق على الآلة المعروفة للسفر.

2- العامل النفسي: قد يتمّ تغيير دلالات بعض الألفاظ المكروهة إلى دلالات مستحسنة، فكأنّ اللامساس يؤدي إلى التحايل في التعبير، أو ما يعرف بالتلطف، وهو في الحقيقة إبدال الكلمة الحادة بالكلمة الأقل حدّة، وهذا النزوع نحو التماس التلطف في استعمال الدلالات اللغوية هو السبب في تغير المعنى .

3- العامل اللغوي: إنّ وجود فجوات معجمية يؤدي إلى الاقتراض اللغوي أو الاشتقاق، أو المجاز، كقولنا: أسنان المشط، أرجل الكرسي... وقد يؤدي انتقال مدلول بعض الكلمات من معناها الحقيقي إلى المعنى المجازي إلى اضمحلال المعنى الحقيقي، ويصبح مجازه كالحقيقة، مثال ذلك كلمة (الوغى) مدلولها في الأصل هو اختلاط الأصوات في الحرب ، ثم انتقل ليُعَبِّر به عن الحرب نفسها.

خصائص التغير الدلالي:

تتمثل خصائص التغير الدلالي فيما يلي :

أ- سير التغير الدلالي للكلمة يكون بطيئا، خاصة في اللغة العربية.

ب- التغير يحدث بطريقة غير مباشرة (تلقائية).

ت- وجود صلة بين الدلالة الجديدة للكلمة، ودلالتها الأصلية –قبل تعرضها للتغير-

ث- التقيد بالزمان والمكان في التطور ذاته لدلالة الكلمة.

ج- إن حدوث التغير في بيئة ما يؤثر على أفراد تلك البيئة.

ح- ارتباط التغير الدلالي باللهجات العربية، وتعتبر هذه أهم خاصية من خصائص التغير الدلالي.

خ- ارتباط التغير باللحن.

العلاقات الـــدلالية: علاقة اللفظ بالمعنى: إنّ الحديث عن العلاقات الدلالية حديث عن الارتباط الوثيق بين طرفي الفعل الدلالي، أي بين الدال والمدلول، والدال في الاستعمال اللغوي يطلق على اللفظ أو الكلمة، وإن كان مدلول اللفظ أعم من مدلول الكلمة من حيث دلالته الأصلية، فهو يطلق على ما يرمى من الفم، ويشمل الكلام وغيره لفظ الأنفاس ، وأمّا الكلمة فهي «اللفظ الموضوع لمعنى مفرد» ، وفي هذا يقول ابن مالك: كلامنا لفظ مفيد كاستقم واسم وفعل ثمّ حرف الكلم

فاللفظ يشمل «المهمل والمستعمل، فالمهمل ما يمكن ائتلافه من الحروف، ولم يضعه الواضع بإزاء معنى نحو: صِص، وكف، ونحوهما، فهذا وما كان مثله لا تسمى واحدة منها كلمة لأنه ليس شيئا من وضع الواضع، ويسمى لفظة لأنه جماعة من الحروف ملفوظ بها» ، أمّا الكلمة «فإنها لا تشمل إلا ما يدل على معنى يتساوى في ذلك قليل الأصوات وكثيره» ، أو بتعبير آخر «أصغر وحدة ذات معنى للكلام واللغة» ، هذا في تعريف المحدثين للكلمة، أمّا النحاة القدامى فإنّ الكلمة عندهم كما تطلق على الكلمة المفردة، فإنها قد تطلق على الجملة، والنص، بل والقصيدة، غير أنّ علماء اللغة المحدثين يذهبون إلى أن اللفظ مرادف للكلمة، يقول إبراهيم أنيس: «أداة الدلالة هي اللفظ أو الكلمة» ، إذن فلا يكتسب اللفظ قيمة وظيفية، إلا عند اقترانه بالمعنى.

والمعنى هو: «أمر ذهني مجرد ينطبع في عقل الإنسان من خلال موقف التعليم والخبرة التي يمر بها، وقاعدته الأساسية أنه –في أضيق حدوده- اصطلاحي بين أبناء اللغة، تقوم العوامل الدينية والاجتماعية والنفسية والسياسية وغيرها، بدور كبير في تكوينه وإقراره، فالمتكلم يعتمد على رصيده من المعاني، فهو يسترجعها ويختار منها المعنى المناسب لهذا الموقف أو ذاك» .

إن العلاقة التلازمية بين اللفظ والمعنى، ودورهما في تشكيل كل أنواع الخطاب التواصلية بما في ذلك النصوص الإبداعية؛ كانت العلاقة بينها محور اهتمام البلاغيين والنقاد، خاصة فيما يتعلق بمسألة التفاضل بين اللفظ والمعنى، ولعلّ أشهر ما قيل في ذلك ما جاء عن الجاحظ (ت 255هـ)، حيث قال: «والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي، وإنّما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ وسهولة المخرج، وصحة الطبع، وكثرة الماء، وجودة السبك، وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير» ، لكن الإمام عبد القاهر الجرجاني رأى غير ذلك الرأي، فهو يرى بأسبقية المعاني على الألفاظ، دون مفاضلة بينهما .

ونظرا لأهمية اللفظ والمعنى لم يقصر الاهتمام بهما على البلاغيين، بل هيمن على تفكير اللغويين والنحاة والفقهاء والمتكلمين من القدامى والمحدثين، ولعلّنا نلمس أثر ذلك الاهتمام فيما وضع من معاجم، ودراسات، ومحاولات تفسير العلاقة بين اللفظ والمعنى، ومن ذلك على سبيل المثال جهود البلاغيين في هذا الشأن دراستهم لمسألة الحقيقة والمجاز، ودراسة الظواهر البديعية اللفظية.

ولعلّ أكثر جهد بارز نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، فقد تجاوزت هذه النظرية حدود العلاقة بين اللفظ والمعنى إلى العلاقة بين كيفية تعالق الألفاظ في التركيب والمعنى.

تتنوع العلاقات الدلالية بتنوع العلاقات بين الألفاظ والمعاني على أساس الالتقاء أو التفريق في مباني الألفاظ ومعانيها، ويكون ذلك على النحو التالي:

أولا: إمّا أن نعبر عن كل معنى بلفظ يخصّه، فلا يتعداه إلى غيره، مثل ألفاظ أفراد الجنس: كرجل وامرأة، وناقة، وجمل ...

ثانيا: أن يشترك لفظان أو أكثر في دلالة واحدة أو معنى واحد كالبر والحنطة والعير والحمار...

ثالثا: أن يشترك معنيين متضادان في لفظ واحد، وهذا هو المتضاد كالجون والقرء والصريم.

رابعا: قد تدل اللفظة الواحدة مع محافظتها على لفظها وأصواتها على أكثر من معنى دلالة مستوية، وهذا هو المشترك اللفظي .

الدلالة والمستويات اللغوية:

يتوقف إنشاء الحدث الكلامي على استعمال اللغة، وتحديد مقصدية الحدث الكلامي تحتاج إلى تحليل دلالي لا يمكن إلاّ من خلال فك شفرات المكون الفعلي للحدث ألا وهو اللغة، باعتبار اللغة «أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم»، فهي مجموعة من الوحدات الدالة، يكون التحليل انطلاقا من أصغر وحدة إلى أكبر وحدة، فتكون العلاقة بين علم الدلالة وعلم اللغة علاقة بين الدلالة ومستويات اللغة، وتتمثل في الجوانب التالية:

أ- المستوى الصوتي: ذكرنا في الدلالة الصوتية -سابقا- أنها الدلالة المستفادة من طبيعة بعض الأصوات والحركات، والظواهر الصوتية كالنبر والتنغيم، وتظهر علاقة الدلالة بالأصوات جلية، من خلال التقابلات الثنائية التي تظهر القيمة المعنوية للصوت، وقد وضَّح ذلك ابن جنب في كتابه الخصائص في عدة أبواب، منها: تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وباب إمساس الألفاظ أشباه المعاني، ومن الأمثلة الدالة على القيمة

التعبيرية للصوت، الاختلاف بين "النضخ" و"النضح"، قال تعالى: ﴿فيهَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ﴾ ، فقد جعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف، والخاء لغلظها لما هو أقوى . ومن القيم الدلالية للظواهر الصوتية، دلالة التنغيم في قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿ قالُوا فَما جَزاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كاذِبِينَ (74)

قالُوا جَزاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزاؤُهُ كَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (75)﴾ ، فلا شك أن تنغيم جملة «قالوا جزاؤه» بنغمة الاستفهام، وجملة «من وجد في رحله فهو جزاؤه، بنغمة التقرير سيقرب معنى الآيات إلى الأذهان، ويكشف عن مضمونها» .

ب- المستوى الصرفي: معلوم أن الدلالة الصرفية هي الدلالة المستفادة من أبنية الكلمات، أي صيغ الوحدات الدالة، فلا يكفي مثلا بيان المعنى: «استغفر» بين المعنى المعجمي المرتبط بالجذر اللغوي (غ ف ر)، بل لا بدّ من إضافة معنى الوزن (استفعل) أو الألف والسين والتاء التي تدل على الطلب .

ث- المستوى النحوي: من خلال المعنى الإسنادي الذي يربط بين الوحدات داخل التركيب يفهم المخاطب من الذي قام بالفعل أو اتصف بالوصف أو على من وقع هذا الفعل... ومع ترابط عناصر التركيب، حيث يوضع كل عنصر في موضعه المناسب لصحة المعنى، يقول الجرجاني: «ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل» ، وكان الجرجاني قد ضرب مثلا ببيت امرئ القيس:

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ بِسِقطِ اللِوى بَينَ الدَخولِ فَحَومَلِ

فقال ما معناه أننا لو غيرنا ترتيب الكلمات فهل يكون للبيت المعنى الذي هو عليه.

ج- المستوى المعجمي: لا يمكن تحديد الدلالة بمعزل عن المعاني المعجمية للألفاظ، ثم النظر إلى دلالتها السياقية، والمعنى المعجمي هو أصل الوضع، ولعل تظهر علاقة علم الدلالة بالمعجم أن هناك معاجم بنيت على أساس المعاني مثل: كتاب الإبل، وكتاب الخيل، والأنواء، وغير ذلك. كما يعنين تحديد المعنى المعجمي في فهم المعنى المجازي، فيصبح هذا النوع من المعنى قرينة على المجاز خاصة المجاز العقلي.

نظرية الحقول الدلالية:

لابدَّ من الإشارة في البداية إلى أنَّ موضوع هذه النظرية هو المعجم ؛ أي المعاني الإفرادية للكلمات وأنها تتوخى تنظيم المادة اللغوية بما يُسهِّل مأخذها وبما يبين عمَّا في اللغة من الفجوات المعجمية حين تجمع الكلمات إلى بعضها في حقل واحد ؛ لذلك فإنه من المنهجية تعريف مفهوم الحقل أوَّلا ؛ فالحقول الدلالية هي مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها (أحمد مختار عمر ؛ علم الدلالة ص79.) ، ويعرفه جورج مونان بأنه << تلك المساحة الدلالية التي تغطيها مفردة أو مجموعة من مفردات اللغة >> (dictionnaire de la linguistique)

وهي أي نظرية الحقول الدلالية التي تنسب إلى العالم الألماني jost trier الذي صاغ مبادئها وأسسها في العقد الثالث من القرن العشرين في كتابه " الألفاظ الفكرية في اللغة الألمانية تتوخى تنظيم المداخل المعجمية وفق دلالاتها في حقول محددة ؛ ذلك أنَّ اللسانيات الحديثة كانت قد تحدثت عن وجود نوعين من العلاقات بين الكلمات حسب ما يرى ديسوسير ؛ نوع يقوم على العلاقة الاشتقاقية ، ونوع ثان يقوم على العلاقة الدلالية ؛ ومثل لذلك بكلمة تعليم التي يمكن جعلها في مجموعة مثل : عِلْم ، تعلم ، معلم ، إعلام ، ....، وفي مجموعة أخرى مثل : تربية ، تأديب ، ثقافة ، فكر ...، وعلى النوع الأخير تنهض نظرية الحقول الدلالية التي تسعى إلى تطويق المادة المعجمية كلها، وتصنيفها في حقول دلالية حيث تقوم على أربعة مبادئ هي :

1- التصنيف يشمل جميع الوحدات المعجمية ولا يمكن استثناء أي وحدة.

2- لا يمكن تصنيف المدخل المعجمي الواحد في أكثر من حقل .

3- لا يمكن إغفال التركيب الذي ترد فيه الوحدة المعجمية .

4 - لا يمكن إغفال السياق الذي ترد فيه الوحدة المعجمية .

علمًا أنَّ العلاقة بين الكلمات داخل الحقل الواحد غير مهمة ولا يطلب أكثر من وجود علاقة بين الكلمات المنضوية تحت حقل واحد ، وعلاقة تربط كل كلمة بمفهوم الحقل الذي ترد فيه ، وينطلق إنجاز معجم وفق هذه النظرية من :

إعداد قائمة بمفردات اللغة (وهو ما توفره المعاجم التقليدية) .

حصر الحقول الدلالية و المفاهيمية الموجودة في بيئة ما أو لغة ما .

توزيع المفردات على الحقول بعد تصنيفها إلى مفردات أساسة ومفردات ثانوية

أهداف النظرية: تنظيم اللغة في تجمعات تنفي عنها التسيب والتراكم.

تسهيل تناول اللغة حين تُجمَّع المفردات على أساس التقارب الدلالي ، فيجد كلُّ طالبٍ حاجته بجهد يسير .

الكشف عن الفجوات المعجمية أي الأفكار والمعاني والأشياء التي أغفلتها اللغة ولم تخصص لها أسماء بغية تسميتها تيسيرا للتواصل .

تدقيق التسمية من خلال المقارنة بين الوحدات المتقاربة المنضوية تحت حقل واحد، وبينها وبين المصطلح العام الذي يجمعها وبخاصة في حال الترادف. تعطي دراسة الكلمات وفق هذه النظرية تصورا عن الحياة الاجتماعية والحضارية عن أهل اللغة .

الصعوبات التي اعترضت النظرية:

صعوبة حصر الحقول المعرفية لسعتها وتغيرها تبعا لتغير الحياة الاجتماعية كلها .

صعوبة التمييز بين الكلمات الأساسية والكلمات الفرعية.

صعوبة ضبط العلاقات بين المداخل المعجمية في الحقل الواحد .

ومن المفيد الإشارة إلى أنَّ هذه الطريقة في التأليف المعجمي لها وجود في الدرس العربي القديم حيث عرف اللغويون العرب منذ القرن الثالث طريقة التأليف بحسب الموضوعات ؛ حيث نقرأ في ذلك:

حقل خلق الإنسان : كتب فيه النضر بن شميل (ت 204هـ) ، قطرب (206هـ) ، أبو عبيدة (210 هـ) ، الأصمعي (215هـ).

حقل الخيل : كتب فيه أبو عبيدة والأصمعي

حقل الحشرات: كتب فيه أبو عبيدة كتاب " الحيات والعقارب " ، والأصمعي كتاب النحل والعسل ، أحمد بن حاتم (231هـ) كتاب الجراد ، أبو حاتم السجستاني : كتاب : الحشرات والجراد والنحل والعسل.

ولعلَّ استواء نظرية الحقول الدلالية على الصورة النظرية التي انتهت إليها يشي بمثل هذا السبق إذ لابد لكل عمل متقن من أصول وبدايات ، تماما كما الحال في النظرية السياقية التي نجدها صدى لكتابات الكثير من اللغويين والبلاغيين العرب ، ولا يخفى حديث الجرجاني في دلائل الإعجاز أو الجاحظ في البان والتبيين ، أو السكاكي في المفتاح ، أو غيرهم من أهل اللغة والبلاغة عن أهمية السياق من غير أنْ نُهمل جهود مفسري القرآن الذين أعملوا السياق في فهم كثير من النصوص ، وبخاصة حديثهم عن أسباب النزول.

النظرية الوظيفية: هي إحدى تمظهرات الفكر البنيوي الموروث من حلقة براغ التي استغلت أفكار دي سوسير حيث ظهرت تطبيقاتها الأولى عند تروبتسكوي بعنوان principe de phonologie ، ثمَّ ظهرتأخيرا عند Andrie Martinet الذي يمكن أن يوصف بأنه امتداد لتروبتسكوي لاشتراكهما في النظر إلى الوحدات اللغوية معزولة عن التركيب وتوجيه العناية في البحث إلى الجانب الوظيفي الدلالي للوحدات والمقاطع الصوتية ؛ وهي << تتخذ المعنى مقياسا هامًّا في تحليلها للنصوص اللغوية ، وتعتبر أنَّ المعنى يتغير بتغير اللفظ ، وهذا يقتضي شيئين في الحقيقة ، إذا تغير المعنى فلا بد أن يتغير اللفظ ، وإذا ثبت على حال واحدة فلا بد أن يثبت المعنى كذلك

1 – مبدأ الخطية : ومفهومها هو أنَّ اللغة البشرية تخض لتتالي الزمني ، أي أن المنطوق اللغوي ليس إلا إنتاج الوحدات الصوتية متتابعة في الزمن ؛ حيث لا إمكانية لنطق صوتين أو أكثر في لحظة زمنية واحدة ، ما يعني ضرورة الترتيب وأن الدلالة الإفرادية وقف على ذلك الترتيب حيث لا فرق –مثلا – بين " قُمْعٌ " و" عُقمٌ " إلاَّ ترتيب الوحدات الصوتية.

2– التقطيع المزدوج: وهو إمكانية تقطيع السلسلة الكلامية إلى مستويين ؛ الأول هو مستوى الوحدات الدالة ، والثاني مستوى الوحدات غير الدالة ، فعبارة : " فهم محمد درسه " – مثلا –يمكن تقطيعها كالتالي :

المستوى الأول (الوحدات الدالة): فهم + محمد + درس +ـه

المستوى الثاني (الوحدات غير الدالة): ف + ـَ + ه +ـِ + م + ـَ + د +ـَ + ر +ـْ + س +ـَ + ه+ـُ

والتقطيع المزدوج إنما يورد كخاصة من خصائص اللسان البشري من جهة، وعلى أنه مظهر لوظيفية الوحدات اللغوية من جهة أخرى ؛ حيث يترتب عن كل تغيير في إحدى الوحدات الصوتية تغيير في المعنى الذي تدل عليه .

تطبيق حول الحقول الدلالية :

معجم الحقول الدلالية في قصيدة... في قصيدة "في أذن الشرق" للشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة

على الرغم من المكانة التي حظيت بها الدراسات اللغوية قديما وحديثا لدى الدارسين اللغويين في تصنيف شتّى العلوم المتعلّقة باللغة، إلاّ أنّ مجال الحقول الدلالية لم يحظ بالاهتمام إلاّ حديثا، وبخاصة في تطبيق هذه النظرية على الأدب بنوعيه النثري والشعري، ولذلك يأتي هذا العمل لإلقاءِ الضوء على أهمية معجم الحقول الدلالية في تحليل النص الأدبي عامة، والشعري منه خاصة.

الحقول الدلالية في قصيدة "في أذن الشرق"

قبل الكشف عن الحقول الدلالية التي تعجّ بها قصيدة "في أذن الشّرق" لمحمّد العيد آل خليفة، فالديوان جدير بأن نتوقّف عنده، فقد جمع الديوان بين دفّتيه خيرة قصائد محمد العيد، والتي تعالج مضامينها شتّى مناحي الحياة في الحقبة التي عايشها شاعرنا، ولكن وأنت تقلّب صفحات الديوان تمرّك قصيدة من بين كلّ القصائد، لا لشيء إلاّ لأنّها لامست مشاعرك أوحرّكت دواخلك، فقصيدة "في أذن الشرق" تحمل دلالات بعيدة المعاني من تنبيه الغافلين وتحريك همم المتقاعسين والمترددين وتحذير المداهنين. وتعد قصيدة "في أذن الشرق" دعوة صريحة لكلّ إنسان عاقل في المشرق العربي الذي هو عنوان كلّ العرب والمسلمين والأفارقة، فشاعرنا لم يتناس كونه إفريقيّا.

وما توصلت إليه في مجال البحث عن الحقول الدلالية في هذه القصيدة، وبعد قراءاتي المتعددة للقصيدة تكشّف لي أنّ مضامين القصيدة من حيث مفرداتها وعباراتها يمكن تقسيمها إلى ستة حقول أعرضها أدناه.

=1=الحقول الدلالية الخاصّة بالأخلاق

يعدّ هذا الحقل من أكثر الحقول التي احتوتها القصيدة، ولا غرابة كون الشاعر ينطلق من قاعدة أخلاقية لثقافته الإسلامية، والجدول يظهر هذا الزّخم من الألفاظ في هذا الحقل:

ق رواس كأنّها أطواد (T7.(أ= الصدق: نحن قوم لنا قلوب على الصد

ب= يثق/ الحقّ والصبر/ التّواصي تضامن/ الفساد/ الهوى/السّداد/ أطاعوا / أشادوا/ نخزى:

وبها دبّ في الجزائر إبــلا * ل وإن لم يثق به العوّاد

نتواصى بالحقّ والصبر فيه * والتّواصي تضامن وجهاد

ومن الشرق أمّة غلب الصّمت * عليها فعمّ فيها الفساد

ساد فيها الهوى ولو لم تفرّط * في التّواصي لساد فيها السّداد

وعنا النّاس لاسمهم وأطاعوا * وأشادوا بذكرهم ما أشادوا

وقعدنا مع الخوالف نخزى * بضروب من الأذى ونكاد(8.(

ج= المطامع/استهانت/ تفشّى...خلف/ يخزى الكرام /يعزّ الأسافل/ يطوى/ الجميل/ينسى العهد/يلف الميعاد/ لا يثبت الرأي/ لا يدوم الوداد/ الحسّاد:

شغف القوم بالمطامع حبّا * واستهانت بالأمّة الأفراد

وتفشّى في الخلف خلف فذلّوا * لسواهم حتّى فنوا أو كادوا

يا بلادا يخزى الكرام عليها * ويعزّ الأسافل الأوغاد

يا بلادا يطوى الجميل وينسى ال * عهد فيها ويخلف الميعاد

يا بلادا لا يثبت الرأي في ش * يء عليها ولا يدوم الوداد

يا بلادا يلقى النبوغ بها الشّؤ * م ويسعى في قتله الحسّاد(9(

د= المرشدون/ ظنون سيّئات/ حرّ ذنبه الوعظ والإرشاد:

أرغم المرشدون فيك على الصّم * ت وبثّت عليهم الأرصاد

وأجيزوا من قومهم بظنون * سيّئات يبثّها المرّاد

كم يلاقي من العقوبات حرّ * ذنبه الوعظ فيك والإرشاد(10(

=2=الحقول الدلالية الخاصّة بالتخلّف والتقهقر

في القصيدة الكثير من الألفاظ الحاملة لمعان التخلّف والتقهقر، وهذا كلّه راجع لكون الشّاعر بصدد تصوير حال الشعوب المتّسم بالجهل والتخلّف في شتّى المجالات، فالحقبة الزمنية وهي بالتأكيد الاستعمارية عايشت فيها الشعوب الإفريقية أنواع شتّى من التقهقر الاجتماعي والثقافي والاقتصادي في أبشع صوره، مما استدعى الشاعر تضمين قصيدته هذه الألفاظ التي تخيّرها من معجمه، للتعبير عن هذا الحقل الدلالي، وفي هذا الإطار إليكم ما استجمعته من ألفاظ هذا المعجم:

أ= قعدنا- الخوالف/ نخزى/ الغشاوات/ البغي- الوهم- أصفاد/ الخلف/ انقطعنا:

وقعدنا مع الخوالف نخزى * بضروب من الأذى ونكاد

إن أفكارنا تحاك الغشاوا * ت عليها وتضرب الأسداد

فمن البغي فوقنا مرهفات * ومن الوهم حولنا أصفاد

ومن الخلف دوننا عقبات * ينفذ الجهد عندها والزاد

وانقطعنا يا علم عنك وعن ك * لّ تراث أبقت لنا الأجداد(11(

ب= امّحت- ضلّت/ أضاعه:

وأضعنا الأثار فامّحت الطّر * ق وضلّت من بينها الرّواد؟

كلّ ما شدتم على الأرض من مج * د تليد أضاعه الأحفاد(12(

ج= الإهمال- الغفلة- الفقر- الجهل:

شاع فيك الإهمال والجهل والغفلة والفقر والضّنى والكساد(13(

د= استهانت/ ذلّوا- فنوا- تفشّى/ تفرّقا- أضداد/ الهون- مادت:

شغف القوم بالمطامع حبّا * واستهانت بالأمّة الأفراد

وتفشّى في الخلف خلف فذلّوا * لسواهم حتّى فنوا أو كادوا

ويح إفريقيا تفرّق فيها * مسلموها فكلّهم أضداد

وتدلت بهم إلى الهون حينا * فتدلّوا بها ومادت فمادوا(14(

=3=الحقول الدلالية الخاصّة بعوامل النهوض

في هذا الحقل الدلالي يضطر الشاعر وهو في أتون دلالات التخلّف أن يخرج المتلقي ليتنفس ألفاظا تتضمّن معان النهوض والرقيّ الذي يمكن لهذه الشعوب أن تعيشه، ولو كان هذا الأمل من الماضي، فالشاعر يعود بالمتلقي إلى ماضيها التليد المزهر، ويحاول غرسه في نفوس هذه الشعوب التي تعيش أحلك فترات الحياة، فحتى يشعرها بالأمل ها هو يعيد إليها فلاشات من قبسات أيام عزّتها، وفي هذا اخترت من القصيدة ما رأيته يعبّر عن هذه الدلالات:

أ= نهيب:

ونفوس لنا تهيب إلى المج * د بنا ما لها سواه مراد(15

ب= المجد/ وعوا/ النبوغ/ المشرقون:

ما رسمنا خطا إلى المجد إلاّ * وعليها أساسنا والعماد

كم وعوا في الحجاز من قبل روما * وأثينا من حكمة وأفادوا

يا بلادا يلقى النبوغ بها الشّؤ * م ويسعى في قتله الحسّاد

أيّها المشرقون في ظلم التاري * خ هل عصركم علينا يعاد(16

ج= تليد/ سادوا:

كلّ ما شدتم على الأرض من مج * د تليد أضاعه الأحفاد

فإذا قمت بالفلاحة أثرى * في الألى أعدموا الألى فيك سادوا(17

=4=الحقول الدلالية الخاصّة بالترادف والتضاد

يعدّ هذان الحقلان من الحقول الدلالية التي لها وقع في ترسيخ معاني الألفاظ، فظاهرة الترادف التي حبلت بها القصيدة لها دور جليّ في تأكيد وتوضيح المعاني التي يريدها الشاعر أن تبقى في ذهن المتلقي، فالغبن بأنواعه الذي عايشته الشعوب الإفريقية عمد الشاعر فيه إلى استخدام الكثير من الألفاظ المشتركة المعاني بغاية أن يكون لدلالاته وقع، وكذا التضاد، فاللفظ أحيانا لا يتّضح إلاّ بإيراد ضدّه فتقوى الصورة ويزداد المعنى قوّة، وفي هذا أخذت من القصيدة هذه الألفاظ التي تؤدّي إلى هذا الباب:

أ= أبيّها وعصيّها –مستجيب ومنقاد/ الأناقة والرّوعة – الذكر والإنشاد/ شرّقي، حلّي/ أساسنا والعماد:

ذي معان أبيّها مستجيب * وقواف عصيّها منقاد

تسحر الأنفس الأناقة والرو * عة فيها والذكر والإنشاد

مرحبا شرّقي القلوب وحلّي * ما لدينا غير القلوب مهاد

ما رسمنا خطا إلى المجد إلاّ * وعليها أساسنا والعماد(18(

ب= الصعاب، العواتي– الخطوب، الشداد:

فبها لانت الصّعاب العواتي * وبها هانت الخطوب الشداد(19(

ج= تنجلي، تنقضي/ الأسافل، الأوغاد/ يطوي، ينسي، يخلف:

ربّما تنجلي الشدائد عنّا * بالتّواصي وتنقضي الأنكاد

يا بلادا يخزى الكرام عليها * ويعزّ الأسافل الأوغاد

يا بلادا يطوى الجميل وينسى ال * عهد فيها ويخلف الميعاد(20(

د= يثبت، يدوم:

يا بلادا لا يثبت الرأي في ش * يء عليها ولا يدوم الوداد(21(

هـ= الوعظ والإرشاد/ يخلد، يبقى/ الموت ≠ الحياة/ اشترى ≠ باعوا- غدوا ≠ عادوا/ يخزى الكرام≠ يعزّالأسافل:

كم يلاقي من العقوبات حرّ * ذنبه الوعظ فيك والإرشاد

يخلد ذو الجلال ويبقى * وسوى الله منتهاه النفاذ

إنّ في الموت والحياة مدى أو * سع فيه تفاوت الأنداد

واشترى النّاهضون منك وباعوا * وغدوا رابحين فيك وعادوا

يا بلادا يخزى الكرام عليها * ويعزّ الأسافل الأوغاد(22(

=5=الحقول الدلالية الخاصّة بالأعلام

على الرّغم من كون القصيدة طويلة، إلاّ أنّ الشاعر لم يضمّنها الكثير من الأعلام، لكن الأعلام الذين أقحمهم الشاعر في قصيدته يحملون دلالات متعددة، فواقع القصيدة بين تخلف الشعوب ودعوة النهوض، فالأعلام تحمل هذه الدلالات، فمن امرئ القيس إلى إيّاد أعلام لها وقع في نفسية المتلقي الحامل لثقافات الماضي والحاضر، فكلّ علم ضمّنه الشاعر دلالات ما لا تفهم إلا من خلال سياقها:

امرؤ القيس- زياد/ عاد – شدّاد/ سابور – إيّاد:

أنا مهما بكاك مني امرؤ القي * س وحيّا حماك منّي زياد

وعت الأرض كلّ ما عاد من عا * د عليها وشاده شدّاد

كلّ ذي إمرة على الأرض (سابو * ر) وكلّ الشعوب فيها (إيّاد) (23(

=6=الحقول الدلالية الخاصّة بالأمكنة

ربط الشاعر معاني قصيدته بمجموعة من الأمكنة، سواء كانت قديمة أو حديثة، وكانت هذه الأمكنة التي ذكرها الشاعر لها دلالاتها في سياق الحديث عن المعاني التي يريد إيصالها للمتلقي، لهذا لا نجده يذكر مكانا إلاّ وكانت له علاقة بالمعنى المراد:

الجزائر/مسرح الأبيرا سوق عكّاظ/ الحجاز روما- أثينا/ إفريقيا:

وبها دبّ في الجزائر إبلال * وإن لم يثق به العوّاد

وغدا مسرح الأبيرا لنا سو * ق عكّاظ تؤمّه الورّاد

تطبيق حول النبر والتنغيم وأثرهما في الدلالة:

يتألف الكلام في أصله من جملة مقاطع صوتية متتابعة و مترابطة و متفاوتة في أطوالها و قيمتها الزمنية ، و من ناحية أخرى هذه ليست بالقوة نفسها ، و إنما تتفاوت قوة و ضعفا بحسب الموقع الذي تحتله في السياق الصوتي و عندما ينطق الشخص باللغة فإنه يميل إلى عملية الضغط على مقطع خاص من كل كلمة ، فيجعله أبرز و أوضح في السمع من غيره من المقاطع و مثل هذا الضغط يسمى في علم الأصوات (النبر) ، لذلك يعرف النبر بأنه الضغط على مقطع معين من الكلمة ، ليصبح أوضح في النطق من غيره لدى السمع ، و نتيجة هذه العملية يؤدي إلى زيادة اندفاع الهواء الخارج من الرئتين ، حين يشتد تقلص عضلات القفص الصدري ، أما ارتفاع درجة الصوت فينتج من ازدياد النشاط العضلي في الحنجرة عند نطق المقطع المنبور .

أهمية النبر في الدراسة الصوتية و اللغوية

-1التفريق بين الصيغ أو المعاني بحيث لا يفهم المراد إلا بوجود النبر .

-2التفريق بين الاسم و الفعل كما هو الحال في.:

كريم الخلق – كريموا الخلق

-3التأكيد أو الدلالة على الإنفعال.

أنواع النبر

هناك نوعان رئيسيتان من النبر :

-نبر الكلمة

-نبر الجملة

و يقسم (نبر الكلمة) إلى قسمين هما :

الأولى : نبر أولي (أي يكون في كل كلمة).

الثاني : نبر ثانوي (يكون في الكلمات التي تشتمل على عدد من المقاطع يجعلها في وزن كلمتين مثل كلمة (استغفار) فإنها تشتمل على نبر أولي على المقطع (فا) و آخر ثانوي على المقطع (تغ . (

أما نبر الجملة فيقوم على الضغط على كلمة معينة ، في إحدى الجمل المنطوقة ، لتكون أوضح من غيرها من كلمات الجملة ، و ذلك ،للاهتمام بهذه الكلمة ، أو التأكيد عليها ، و نفى الشك عنها من المتكلم أو السامع.

مواضع النبر في اللغة العربية :

-1النبر على المقطع الأول

-اذا توالت ثلاث مقاطع متماثلة من النوع القصير المفتوح (ص ح) فمثلا المقطع لكلمة (كتب) تكون كالتالي (ص ح / ص ح / ص ح) فإن النبر يكون على الحرف الأول و هو (كـ) .

-اذا كانت تشتمل على أكثر من ثلاثة مقاطع ، إلا أن الثلاثة الأولى من النوع القصير المفتوح فمثلا المقطع لكلمة (ثمرة) تكون كالتالي (ص ح / ص ح / ص ح) فإن النبر يكون على الحرف الأول و هو (ثـ) .

-اذا كانت الكلمة مقطعا واحدا (أحادية المقاطع) كالكلمة التالية في حالة الوقف ، فمثلا كلمة (نار) فإنها تتكون من (ص ح ح ص) فالنبر يكون على الحرف الأول وهو (نـ) .

-2النبر على المقطع الأخير

-اذا كان المقطع الأخير من النوعين (ص ح ح ص) أو (ص ح ص ص) فإن النبر يكون على المقطع الأخير ، فمثلا كلمة (نستعين) تحتوي على المقاطع التالية (ص ح ص / ص ح / ص ح ح ص) فإن النبر يكون على المقطع الأخير و هو (عين) ، و كلمة (المستقر) تحتوي على المقاطع التالية (ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص ص) فإن النبر يكون على المقطع الأخير و هو (قر) .

-3النبر على المقطع الذي قبل الأخير

-اذا لم يكن المقطع الأخير من النوعيين (ص ح ح ص) أو (ص ح ص ص) و لم تتوال في الكلمة ثلاثة مقاطع من نوع واحد قصير مفتوح (ص ح) ، فمثلا كلمة (انصر) تحتوي على المقاطع التالية (ص ح ص / ص ح ص) فإن النبر يكون على المقطع الذي قبل

الأخير و هو (انـ) ، و كلمة (أخاك) تحتوي المقاطع التالية (ص ح / ص ح ح / ص ح) فإن النبر يكون على المقطع الذي قبل الأخير و هو (خا) .

-4النبر على المقطع الذي يسبق ما قبل الأخير

-اذا كان المقطع ما قبل الأخير من النوع قصير مفتوح (ص ح) و سبق بنظير له من النوع قصير مفتوح (ص ح) ، فمثلا كلمة (ازدهر) تحتوي على المقاطع التالية (ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح) فإن النبر يكون على المقطع الذي يسبق ما قبل الأخير (د) ، و كلمة (انكسر) تحتوي على المقاطع التالية (ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح) فإن النبر يكون على المقطع الذي يسبق ما قبل الأخير (كـ) .

-اذا كان المقطع الأخير من النوع (ص ح ص) و الذي قبل الأخير من النوع (ص ح) ، فمثلا كلمة (ركبك) تحتوي على المقاطع التالية (ص ح ص / ص ح / ص ح ص) فإن النبر يكون على المقطع الذي يسبق ما قبل الأخير (ركـ) .

-اذا كان المقطع الأخير من النوع (ص ح ح) طويل مفتوح و الذي قبله قصير مفتوح (ص ح) ، فمثلا كلمة (بكروا) تحتوي على المقاطع التالية (ص ح ص / ص ح / ص ح ح) فإن النبر يكون على المقطع الذي يسبق ما قبل الأخير (بكـ).

العوامل التي تؤثر على مواقع النبر

ينتقل النبر من مقطع إلى آخر في الكلمات العربية ، و يرجع ذلك إلى الأسباب التالية :

-1الاشتقاق

فمثلا الفعل الماضي (نفر) يحتوي على المقاطع التالية (ص ح / ص ح / ص ح) فإن النبر يكون على الحرف الأول (نـ) و ذلك لتولي ثلاث مقاطع من نوع واحد ، أما المضارع منه (ينفر) تحتوي على المقاطع التالية (ص ح ص / ص ح / ص ح) فإن النبر يكون على المقطع الذي قبل الأخير و هو (فـ) .

-2إسناد الفعل إلى الضمائر

عند اسناد الفعل الماضي إلى ضمائر الرفع المتحركة ينتقل النبر من مكانه الذي كان فيه قبل الإسناد ، فمثلا عند اسناد الفعل (درس) و التي تحتوي على المقاطع التالية (ص ح / ص ح / ص ح) هنا ا يكون النبر على المقطع الأول وهو الحرف (د) إلى ضمير المتكلمين (درسنا) تصبح المقاطع هي (ص ح / ص ح ص / ص ح ح) النبر يكون على المقطع ما قبل الأخير و هو (رس) .

و عند اسناد الفعل الماضي إلى ضمائر الرفع الساكنة كألف الإثنين و واو الجماعة لا يغير من موضع النبر .

-3جزم المضارع

يتغير موضع النبر حسب رفع الفعل أو جزمه فمثلا الفعل (يلعب) يحتوي على المقاطع التالية (ص ح ص / ص ح / ص ح) فإن النبر يكون على المقطع ما قبل الأخير و هو (عـ) أما في حالة الجزم فنقول : (لم يلعب) فإنها تحتوي على المقاطع التالية (ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص) فإن النبر يكون على المقطع الأول و هو (يلـ) و ذلك لتوالي ثلاثة مقاطع من نوع واحد.

التنغيم

هو ارتفاع الصوت و انخفاضه مراعاة للظروف المؤدى فيه ، أو تنويع الأداء للعبارة حسب المقام المقولة فيه .

و هذا التنويع يكون على مستويين هما :

المستوى الأول : الكلمة

المستوى الثاني : الجملة

فالمستوى الأول يعنى : اختلاف درجات الصوت في الكلمة الواحدة ، فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد قد تختلف في درجة الصوت و كذلك الكلمات قد تختلف ، و هذا النوع يستعمل في بعض اللغات للتعريف بين المعاني كاللغة الصينية ، و النرويجية ، و السويدية ، و بعض لغات جنوب افريقيا ، و شرقي آسيا و بعض اللغات الهندية الأمريكية .

فمثلا في اللغة الصينية كلمة : (فان) تؤدي ستة معاني حسب توالي درجات الصوت بالنغمة الموسيقية هي : (نوم – يحرق – شجاع – واجب – يقسم – مسحوق) .

و في اللغة العربية صور من هذا التنغيم الذي تختلف بحسبه المعاني ، فمثلا كلمة (انسان) عند نطقها بشكل خاص تدل دلالة عامة

على هذا المخلوق ، و اذا أطيل النطق بالمقطع الذي قبل الأخير ، دل دلالة خاصة على الإنسان الفاضل أو الكامل في صفاته ، و اذا نطق بطريقة أخرى تدل على الذم .

و للتنغيم عدة عوامل تؤثر في طريقة الأداء اللغوي فلابد مراعاة حالة المتكلم النفسية و طبيعة النطق و التنغيم ، و البيئة التي يلقى فيها الكلام ، و قدرة المتكلم على التحكم في عضلات نطقه ، كل هذه العوامل تؤدي إلى اختلاف في المشاعر و مقتضيات الأحوال و تغير الجمل ، من الاستفهام إلى التأكيد ، إلى الإنفعال ، إلى التعجب ، و ما شاكل ذلك .

فلكل لغة من حيث التنغيم مواقعه الخاصة به و ظروفه التي تحيط به و نظامها الخاص لذلك على متعلم اللغة الوقوف على هذه الجوانب حتى لا يفقد تركيبها اللغوى طبيعته الخاصة به.

– قائمة مصادر ومراجع الدروس

الإتقان في علوم القرآن . السيوطي . المكتبة العصرية . بيروت 1988م.

أساس البلاغة . الزمخشري (محمود بن عمر) . دار صادر . بيروت 1979م.

الأسس الدلالية في تحليل النصوص العربية . د. محمود فهمي حجازي . بحث منشور ضمن كتاب النصوص الأدبية دراسة وتحليل . قطر . ط1 . 1983م.

أسرار البلاغة . عبد القاهر الجرجاني . تحقيق محمد رشيد رضا . ط 4 . دار المنار.

البرهان في علوم القرآن . بدر الدين الزركشي . القاهرة ط1 . 1957م.

تأويل مشكل القرآن . ابن قتيبة . القاهرة ط1 . 1966م.

الترادف في اللغة . حاكم مالك لعيبي . بغداد 1980م.

تاج العروس من جواهر القاموس . محمد مرتضى الزبيدي . الكويت 1965م.

التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن . عودة خليل أبو عودة.

التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه . د. رمضان عبد التواب . القاهرة 1983م.

تفسير مجاهد . مجاهد بن جبر المكي . قطر . ط1 . 1976م.

جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري) تحقيق محمود شاكر . دار المعارف . د. ت.

الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) للقرطبي (محمد بن أحمد) . بيروت . ط2.

جمهرة اللغة . لابن دريد . الهند 1351هـ.

دور الكلمة في اللغة . ستيفن أولمان . ترجمة د. كمال بشر . القاهرة 1975م.

دلالة الألفاظ . د. إبراهيم أنيس . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة ط 3 . 1976م.

الزينة في الكلمات الإسلامية . أبو حاتم الرازي . القاهرة . ط2 . 1957م.

الصاحبي في فقه اللغة . أحمد بن فارس . القاهرة 1977م.

علم البيان التطبيقي . د. محمد عادل شوك . صنعاء . ط 2 . 2002م.

علم الدلالة . د. أحمد مختار عمر . دار العروبة . الكويت ط 1 . 1982م.

علم الدلالة العربي . د. فايز الداية . الجزائر 1988م.

علم الدلالة والمعجم العربي . د. عبد القادر أبو شريفة وآخرون.

علم اللغة . د. علي عبد الواحد وافي . القاهرة . ط7.

علم اللغة العام . ف. د. سوسور . ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز . بغداد 1986م.

علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) . د. محمود السعران . القاهرة 1962م.

علم اللغة وفقه اللغة . د. عبد العزيز مطر . قطر 1985م.

فقه اللغة وخصائص العربية . د. محمد المبارك . دار الفكر . بيروت 1972م.

لحن العوام . أبو بكر الزبيدي . تحقيق د. رمضان عبد التواب . القاهرة 1964م.

لسان العرب . ابن منظور . دار صادر . بيروت 1968م.
اللغة . جوزيف فندريس . مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة . 1950م.
مجاز القرآن لأبي عبيدة (معمر بن المثنى) القاهرة . ط1 . 1954م.
المجاز في البلاغة العربية . د. مهدي السامرائي . دار الدعوة . حماة ط1. 1974م.
المزهر في علوم اللغة وأنواعها . السيوطي . القاهرة 1958م.
معاني القرآن وإعرابه للزجاج (إبراهيم بن السري) تحقيق عبد الجليل شلبي . عالم الكتب . بيروت ط1 . 1988م.
المفردات في غريب القرآن . الراغب الأصفهاني . مكتبة الأنجلو 1970م.

أستاذ المقياس/د.جلول دقي

أفريل 2020